اتجاه التحليل النفسي في قصص سعادت حسن منتو

د . الحافظ عبدالقدير •

Abstract

Saadat Hasan Manto was one of the great fiction writers of Urdu. He penned on the weird topics like poverty, destitution, class difference, politico - religious exploitation, sexual and moral degradation. He wrote on all these issues in the perspective of the Muslims' immigration to Pakistan and its aftershock. Manto made psycho-analysis of this phenomenon and employed his best qualities to highlight it through his writings. He proved that the psychological issues determine the role and character of an individual.

إن اسم سعادت حسن منتو بازغ على سماء القصة القصيرة الأردية بزوغ الشمس رغم مضي خمس وستين سنة على وفاته، وكان نسيج وحده في الأدب الأردي، بل هو ظاهرة لم تتكرر في الأدب الأردي بأكمله، كما حُظيت إبداعاته باستحسان الملايين من القراء في باكستان وخارجها على اختلاف الأعمار والمستويات، ولا يختلف اثنان في أنه كاتب كبير في مجال القصة القصيرة، وهذا ما اعترف به العدو والصديق على السواء. هذا "محمد حسن عسكري" –الأديب الأردي الشهير-قدقال:

"أعتبره أكبر كاتب للقصة القصيرة الأردية"(1)

ويماثل قوله رأي "عبادت بريلوي"-الناقد الأردي الكبير- إنه قال:

"إن لم يكن منتو أكبر أديب أردي فإنه لا شك أديب أكبر".(2)

إن الزمن لمقياس محايد وبمروره ينسى الناس أدب زمن ويتركونه وراء ظهورهم نسيا منسيا، ولا يساير الزمن ويوفي متطلباته على مر العصور إلا الأدب العظيم، ولا أبالغ إذا قلت إن كتابات منتو في زمننا هذا - رغم أن حقبة طويلة من الزمن قد مضت عليها- تُقرأ وتباع مثل كعكات ساخنة على حد التعبير الإنجليزي، ولا تزال تُنشر حولها مقالات نقدية، وتُكتب أطروحات في جامعات مختلفة تتناول تلك الميزات الفنية التي تميز بها سعادت حسن منتو عن الآخرين من أصحاب هذا الفن.

• الأستاذ المساعد بالقسم العربي، الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور

لقد حققت قصص منتو نجاحا جماهيريا كبيرا داخل شبه القارة الباكستانية والهندية وخارجها على السواء، وتُرجمت قصصه إلى لغات عالمية مختلفة، ولا يختلف اثنان في أنه كاتب عملاق، استأثر بإعجاب جيل كامل من الشباب، وما زال هذا الإعجاب ينتقل من جيل إلى جيل، قرأته الملايين في جميع أنحاء المعمورة، فلا تفقد قصصه جدتها ولا رواءها ولا فتنتها ولا جاذبيتها. إنها شديدة النضارة والحيوية، مليئة بالشخصيات القوية، حافلة بالصراع الإنساني العميق، كما أنها واسعة التأثير في واقع الناس والعصر والمجتمع.

إنها تُعد مثالا رائعا للنقد الاجتماعي الرافض للقيود والكاشف عن مساوئ المجتمع، قصص تنبذ القبح والدمامة والضعف والتخاذل، وتدافع عن قيم الجمال والمحبة والحرية والكرامة.

سعادت حسن منتو الطبيب النفساني

كان سعادت حسن منتو طبيبا نفسانيا بارعا، يحلل الميول، ويكشف عن الطبائع، ويلمس أغوار النفس، إنه من أبرز كتاب اتجاه التحليل النفسي، فكل قصة من قصصه تشير إلى قضية نفسية، وتكشف الستار عن حقيقتها، مع أنها معبرة عن ناحية من نواحي الحياة، إنه في قصصه تتبع الواقع وصوره تصويرا موضوعيا، جمع وقائع الحياة اليومية الفردية والاجتماعية، ثم رتب هذه الوقائع لتكون مجالا يحرك فيه شخصيات قصصه، يتأثرون بالأحداث ويؤثرون فيها، ثم درس مشكلات هذه الشخصيات الاجتماعية والفردية، محللا هذه الشخصيات والأبطال تحليلانفسيا واسعا.

حاول سعادت حسن منتو خلال تناول المشاكل الاجتماعية والنفسية تشخيص الداء الخبيء في الإنسانية، وهو يتأثر في ذلك بالقصص الأوربية مما قرأه في الآداب الغربية المختلفة، ومما ينهج فيه الكتاب منهجا نفسيا يحللون فيه الشعور، وما وراء الشعور، ومما يصيب الإنسان أحيانا من عقد نفسية تكمن في أطواء قلبه، ويسلك في كتاباته منهج "فرويد"(3) ويحلل العقد الغريزية، ويعطي للغريزة الجنسية الأولية في دوافع السلوك الإنساني.

موضوعات قصص سعادت حسن منتو

لم يلتفت سعادت حسن منتو إلى الموضوعات العادية، واسترعى انتباهه كل ما وجده من اعوجاج وانحناء عن الطريق العادي المستقيم في مجتمعه، فحرّك حوله قلمه واتخذه موضوعاً لقصصه، إنه يقول عن تلك الموضوعات التي يختارها لقصصه:

> **"لا أجد في قلبي ذرة من المواساة تجاه تلك المرأة من جيراني التي أراها يوميا عرضة لضربات زوجها، ثم تمسح أحذيته. ولكن لو تذهب امرأة من جيراني إلى السينما**

لمشاهدة فيلم مهددة زوجها بأنها قاصدة الانتحار بعد التشاجر معه، ثم أرى الزوج في قلق كبير لساعتين فأشعر بمواساة عجيبة تجاههما... لا أهمية في نظري لذلك الشاب الذي يبتلى بحب شابة، ولكن يسترعى انتباهي ذلك الفتى الذي يتظاهر أن مئات من الفتيات يفدينه أنفسهن، ولكنه في الحقيقة يجوع إلى الحب كما يجوع قاطن بنغال الجائع إلى الخبز. فالمأساة التي تتأهه في الحديث الجذاب لهذا العاشق المتظاهر بالنجاح في الحب أسمعها بأذني وألقيها على الآخرين... إن المرأة التي تعمل على الرحى طول اليوم ثم تنام في الليل وهي هادئة مطمئنة لا تستطيع أن تكون بطلة قصصي، بطلة قصصي تكون تلك المومس التي تبيت الليل كله يقظة، وتستيقظ أحيانا من نومها الذي تتخذه أثناء النهار بسبب حلم مروع وهو أن الشيب يضع قدمه على عتبة بابها. إن جفنيها المتثاقلتين بسبب قلة النوم منذ سنوات تستطيعان أن تكونا موضوعا لقصصي.(4)

والقارئ الذي يطالع قصصه القصيرة يقف على طبيعة تلك الموضوعات الكثيرة ونواحيها المختلفة التي تعرض لها منتو من ظروف الهجرة في شبه القارة والسياسة وقضايا العمال والزناة والعاهرات المومسات وحياتهن والزهاد والعصبية الدينية والخمر ومدمنيها، وحاول خلالها أن يبحث عن الخير في هؤلاء الناس الذين يظن المجتمع أنهم ليسوا إلا معادن الشر، كما تعرّض لمدن "كشمير" و"بومباى" و"دلهي" و"لاهور" وأسواقها ومحترفات الأفلام والكليات والفقر والأسواق والبيوت والفنادق والمقاصف والصبيان والشبان والشيب والنساء والرجال، الأمراء والفقراء وعقداتهم النفسية والحب والحياة الزوجية وخاصة الجنس ومظاهره في حياة الإنسان والعقدات الجنسية والتقاليد العقيمة للمجتمع التي تقيد الناس، وبعض هذه الموضوعات – مثل المرأة والجنس- أحب إلي منتو من الموضوعات الأخرى، فميله إليها أكثر، إلا أن غرضه من معالجة هذه الموضوعات الكثيرة المتنوعة لم يكن إلا مطالعة الطبيعة الإنسانية في مظاهرها المختلفة وإلقاء الضوء على المجتمع ومشاكله كما قال في مقدمة كتاب له:

"....على الذين يرغبون في مطالعة الفطرة الإنسانية أن يطالعوا هذا الكتاب"(5)

ومن البديهي أن المرأة تسود معظم قصصه، وقد قال مرة عن ذلك:

"....هذا أيضا يقال إن المرأة متسلطة على أعصاب هؤلاء الأدباء. والصدق أن المرأة مسيطرة على أعصاب كل رجل منذ هبوط آدم من الجنة، ولماذا لا تسيطر؟ وهل ينبغي أن يسيطر

بدلها الفيلة والخيل على أعصابه؟ يهدر الحمام عندما يرى الحمامات، فلماذا لا يقرض رجل أبياتا غزلية أو يكتب قصة قصيرة عند رؤيته امرأة، إن النساء أكثر من الحمامات جمالا وحسنا وفتنة ومتعة. هل أنا كاذب؟"(6)

إلا أننا إن طالعنا المجموعة القصصية "آتش پارے" لسعادت حسن منتو التي خرجت من براعة قلم منتو في السنوات الأولى من حياته الفنية وتشتمل على ثماني قصص وهي: "خونى تهوك"(البصاق الدموي) و"انقلاب پسند"(محب الثورة) و"جي آيا صاحب"(أنا حاضر يا سيدي) و"ماهي گير"(السماك) و"تماشا"(النـزهة/المسرحية) و"طاقت كا امتحان" (اختبار القوة) و"ديوانه شاعر"(الشاعر المجنون) و"چورى" (السرقة) وقمنا بتحليلها لوجدنا أن الجنس لم يكن ذا أهمية فى فكره وفنه في البداية، ولا تتعلق قصة من قصص هذه المجموعة بموضوعات جنسية، ليس فيها ذكر المومسات ولا البغاة ولا قوادهن ولا الرجال الخلعاء، رغم أن الجنس ومنتو أصبحا فيما بعد بحيث لا ينفك أحدهما على الآخر.

فقصص منتو من "بو" (الرائحة) و"پهاها"(ضمادة الجرح) وبلاؤز"(بلوزة) و"ٹھنڈا گوشت"(اللحم البارد) و"اوپر نيچے اور درميان" (الفوق والتحت وما بينهما) مصطبغة بهذه الصبغة وملوّنة بهذا اللون.

وهذه الموضوعات التي تناولها منتو في قصصه من ذكر العاهرات والجنس والنفسية الجنسية وتحليلها حسب منهج "فرويد" أثارت له مشاكل كثيرة وجعلته شخصية متنازع فيها،(7) كما ساقته إلى المحاكم والغرامة أكثر من مرة، وإن ظلال هذه القضية لا تزال تظلل شخصيته وأدبه وفنه، فالعطش الجنسي والعقدات الجنسية والنفسية وظهور الغريزة الجنسية في سن المراهقة ومسائلها والشرف والأنانية والمسائل السياسية والاجتماعية كانت من موضوعاته المحببة التي اختارها لقصصه، كما أنه كشف في إبداعاته الفنية الستار عن المستوى المزدوج للمجتمع وحبه للظاهر والتخالف بين الأقدار الأخلاقية والمذهبية .

إنه خلال تناوله الموضوعات المذكورة أعلاه حاول أن يعرض ما يوجد في المجتمع من سخف وباطل، وأن يجسم عيوب المجتمع ويصورها في أبشع صورة رغبة في الإصلاح. إنه مرة قال:

"ما دامت هناك نقائص تستولي على عالم البشر، ولا سيما على سعادت حسن فلن يزال يبصرها من تحت المجهر ويبرزها لغيره من الناس. أما "راجه صاحب بمحمود آباد" (واحد من

نقاده) وأنصاره فيرون أن ذلك مجرد سخافة ويقولون لي إن الذي تسطره ليس إلا باطلا لا طائل تحته، أما أنا فأقول إني أوافقكم على ذلك موافقة تامة لأنني إنما أركز كتاباتي على ما في الحياة من سخف وباطل."(8)

اتجاه التحليل النفسي في قصص منتو

عندما نقرأ قصص سعادت حسن منتو نرى أنه قد عرض نفسه فيها كطبيب نفساني، وتناول العقد النفسية خلال تناول الموضوعات المذكورة أعلاه، فأشخاص قصصه يأتونه ويلقون عليه ما يكون بداخلهم من عقدات نفسية، هذا "زيدي" في قصته "مس ٹين والا"(اسم بطلة القصة) يأتيه ويخبره عن ذلك الخوف الذي يكمنه في داخله تجاه قط يسكن في بيته.(9)

و أن سعادت حسن منتو كان طبيبا نفسانيا بارعا، يحلل الميول، ويكشف عن الطبائع، ويلمس أغوار النفوس، فكل قصة من قصصه تشير إلى قضية نفسية، وتكشف الستار عن حقيقتها مع أنها معبرة عن ناحية من نواحي الحياة، كما أن القصة عنده ليست مادة تسلية فحسب، بل هي مادة علاج أيضا، إنها عبارة عن حالات اجتماعية حاول من خلال دراستها إلقاء الضوء على اعوجاج المجتمع وتغييره, فقصصه "خوشيا"(اسم البطل) و"ننگي آوازيں" (الأصوات العارية) و"شوشو"(اسم البطلة) و"هتك" و"بلاؤز" (بلوزة) و"دهواں"(الدخان) و"ٹھنڈا گوشت"(اللحم البارد) و"پهاها" (ضمادة الجرح) و"سڑک کے کنارے "(على جانب الشارع) كلها تثير قضية من القضايا النفسية، فنحن فيما يلي من السطور نتناول بعض قصص سعادت بشيء من التفصيل كي يصبح هذا الجانب النفسي لقصصه أبرز.

تتناول قصة "سجده" عقدة من العقد النفسية وتحللها وهي عقدة الشعور بالذنب. هذه القصة تتناول عقدة من عقدات نفسية الإنسان ومظهرا من مظاهرها، وهو أن الإنسان يكون تحت سيطرة ضميره في بعض اللحظات، فيقلقه الشعور بالذنب في تلك اللحظات بشدة، فينيب إلى الله بتوبة صادقة، ويقطع العهد على نفسه بأنه لا يعود إلى ذلك الذنب مرة أخرى، ولكنه لا يستطيع الاستمرار على توبته هذه بسبب وسطه المحيط به، والذي يجعله يرتكب ذلك الذنب مرارا ومرارا، إلا أن هذه التوبة وتلك اللحظات تقوم أمامه مجسمة كلما ارتكب ذلك الذنب مجدداً، كما يؤذيه ضميره على نقض تلك العهود. ها هو "حميد" في هذه القصة يشاغب صديقه ويجعله مرة يشرب الخمر بخداع، فيلومه صديقه على فعلته هذه متظاهرا بأن شفتيه لم تمسا كأس الخمر قبل تلك الليلة ويذهب تاركا إياه،

فيحيط بحميد وهو يخرج من الحانة الشعور بالذنب وتزيد الطين بلة نشوة الخمر، فيتوب إلى الله توبة صادقة، ويسجد له ويصمم على أنه لا يشرب الخمر أبدا، بعد شهر ونصف يأتيه ذلك الصديق حاملا زجاجة خمر، ويخبره بأنه أيضا خادعه وشاغب في ذلك الحين، ثم يجبر "حميدا" على شرب كأس منها، فمنذ ذلك الحين كلما يشرب "حميد" كأس الخمر يتذكر تلك السجدة التي أداها في تلك الليلة في حالة النشوة فيؤذيه شعوره بالذنب هذا إلى حد أنه في ليلة يقوم فزعا - وهو في النشوة- يعاني تأنيب الضمير وتبكيته بشدة، ويبدأ يعرك جبينه بالحائط المواجه، وكأنه يحاول محو أثر تلك السجدة والتخلص من ذلك الشعور، وعندما يشعر بألم بسبب ذلك يجلس على الكرسي، مطرقا رأسه ومضمحلا ويقول في صوت متعب، رُد علي سجدتي يا رب.

هذه القصة تفسر إحدى العقد النفسية وتحللها وهي عقدة الشعور بالذنب. وتلقي ضوءا على تلك الحالات العصابية التي تنتج عن هذه العقدة.

وقصة "خوشيا" لمنتو قصة قواد لا تهتم به مومس اهتماما كرجل، في هذه القصة تناول سعادت نفسيته أو نفسية رجل لا يُعتبر رجلا من قبل مومس، والقصة بالإيجاز أن "خوشيا" (اسم بطل القصة) القواد يقرع باب مومس اسمها "كانتا" فتسأل عن اسم الطارق، وعندما تعرف أنه "خوشيا" القواد تفتح الباب وهي عارية، وتسأله عن حاله وعن سبب مجيئه، كما تخبره بأنها كانت تقصد الاستحمام وقت قرع الباب، فيقول لها "خوشيا" الغارق في العار، إذهبي إلى الحمام واستحمي، ثم يسألها: لماذا فتحت الباب وأنت عارية، آتيك في وقت آخر فتقول: عندما أخبرت عن نفسك جاء في ذهني إنه "خوشيا" ولا حرج في فتح الباب، فيعود أدراجه والسؤال الذي يقلقه أن "كانتا" لا تظنه رجلاً، ولا تشعر بعار في المجيئ عارية أمامه، وله من العمر ثمان وعشرون سنة، "كأنه ذلك القط الذي دائماً ينعس على فراشها"(10) وفي نهاية القصة يذهب إلى تلك المومس لا كقواد بل كمشترٍ.

وفي قصته "هتك" تناول نفسية مومس وحالتها عندما تخرج من فراشها في منتصف الليل لزبون يطلبها، والنوم يداعب جفنيها، ولكنه يرفضها بعد رؤية وجهها، هذه القصة تصور مشاعرها وحالتها في ذلك الحين.

كما أنه في قصته "بلاؤز"(بلوزة) تعرض لنفسية "مومن" و"شكيلة" و"رضية" المراهقين الذين هم على عتبة باب الشباب مع أنهم لا يفهمونه كل الفهم، هذه القصة تلقي ضوءا على نفسيتهم.

وكذلك حال قصة "دهواں"(الدخان) و"پهاها"، كلتاهما قصة مراهق لا يعرف غرائز الجنس ومشاعره في بداية الشباب.

أما قصته "ٹھنڈا گوشت" (اللحم البارد) فإنها تلقي ضوءا على نفسية رجل وهو في شدة البهت.

إنها قصة سيخي يختطف فتاة مسلمة في زمن الاضطرابات ويحملها على كتفه ويذهب بها لهتك عرضها، ولكنه عندما يصل إلى غابة ويُنزل الفتاة من كاهله لتلك الغابة الذميمة يجدها ميتة وباردة كاللحم البارد، فيدهشه هذا المنظر و يملأ الخوف صدره فيرجع إلى بيته فزعا ويحاول أن يجامع امرأته، ولكنه لا يقدر من ذلك على شيء، كما يقوم بأعمال تثير العواطف الجنسية، ولكنها لا تسمن ولا تغني من جوع، وذلك بسبب ذلك الخوف القابع في عقله الباطن – في اللاشعور- وتلك الأزمة النفسية التي تسيطر على ذهنه بعد رؤيته فتاة ميتة.(11)

هذه القصة تتناول ناحية من نواحي علم النفس وهي أن الضغوط أو الأزمات النفسية تؤثر على القدرة الجنسية للإنسان، كما أثرت على بطل هذه القصة.

أما قصته "سڑک کے کنارے " (على جانب الشارع) فإنها تلقي ضوءا على أحاسيس أم مشاعرها تجاه تلك الطفلة التي تنمو في أحشاء بطنها، ولكن المأساة هي أن والد هذه الطفلة كان قد ترك أمها بعد قضاء ليلة جريمة معها تاركا تذكار إثمه في داخلها، فماذا يطرأ على قلبها عندما تترك وليدتها بعد ميلادها على جانب الشارع خوفاً من المجتمع بعد أن حملتها في بطنها تسعة أشهر. هذا ما تناوله منتو بالتفصيل في هذه القصة.(12)

انتقد منتو في هذه القصة المستوى المزدوج للمجتمع الذي يعد المرأة آثمة وينسى الرجل الذي يكون مجرما حقيقيا رغم أن مقاييس التقدير يجب أن تكون واحدة ... وعلى المجتمع أن ينظر إلى خطأ المرأة بنفس العين التي ينظر بها إلى خطأ الرجل. فمثل هذه القصص تعكس الواقع وتعطينا لمسات نفسية نشرف منها على السلوك الإنساني العام.

يثير كل من أعمال سعادت حسن منتو خلال تناول العقد النفسية قضية ساخنة من قضايا المجتمع تستحق الاهتمام على كافة المستويات، وكان هذا كافيا لاكتساب عداوة مرتكبيها. ولا أكذب إذا قلت إن هذا هو السبب الوحيد الذي جعله مطعونا وملعونا ومطرودا من قبل الرجعيين.

وخير مثال له قصته "صاحب كرامات" التي تتحدث عن أولئك الذين يستغلون سذاجة الناس ويلعبون بمعتقداتهم وينهبونهم باسم الدين، وهم كثيرون في بلادنا. في هذه القصة نرى كيف "صاحب كرامات" هذه

القصة ينهب "چوهدري موجو" ويسفهه ويغتصب بنته الشابة وزوجته في بيته، ويعود أدراجه تاركا خلفه لممه ولحيته المصطنعة في بيته، ولكن "موجو" الساذج رغم كل ذلك لا يدرك الواقع ولا يفهم الحقيقة، إنه يظن أنه كان صاحب كرامات ترك آيته خلفه، فيحتفظ بها ويودعها في صندوق تيمنا وبركة ومثلها موضوعا قصته "كبوتروں والا سائيں" (المتصوف صاحب الحمامات) وقصته "حافظ حسن دين"(اسم البطل).

يستهزئ سعادت حسن منتو بالذين يجعلون الدين وسيلة لإكمال أهدافهم الشخصية ولا يهمهم إلا مصالحهم الذاتية ويكون لهم وجهان، وجه لهؤلاء ووجه لأولئك، فها هو يقول ساخرا:

> **"في زمن الاضطرابات (وقت تقسيم الهند وإنشاء باكستان) عندما كنا نخرج (من البيوت) لعمل ما، نحمل معنا قلنسوتين، أولاهما هندية والأخرى رومية، عندما كنا نمر من حي المسلمين نلبس قلنسوة رومية، وعندما كنا نذهب إلى حارة الهنادكة نرتدي قلنسوة هندية، أثناء هذه الاضطرابات اشترينا قلنسوة "گاندي" (قلنسوة بطرازخاص اشتهرت باسم قلنسوة "گاندي") وكنا نضعها في الجيب، ونلبسها على التوّ عندما كنا نحس بحاجة إليها، في الماضي كان الدين في القلوب، وهو في القلنسوات في هذه الأيام، وكذلك السياسة، إنها أيضا لجأت إلى هذه القلنسوات، فلتحيا هذه القلنسوات.(13)**

كما أنه ألقى في أعماله بأسلوبه الرشيق وبصيرته النفاذة الضوء على الكثير من الظواهر الجديدة التي تقف حائلة دون تطور المجتمع وتعوق حركة عجلته، كما هز أسس الأقدار الاجتماعية العقيمة وأظهر التخالف والتضاد الكامن في أعماق المجتمع. ففي قصته "لائسنس" (الرخصة) وجه نقدا لاذعا إلى النظام البالي للحكومة، إنها قصة زوجة حوذي تبدأ تسوق عربة زوجها بعد وفاته، ولكنها بعد أيام تُمنع من قبل أصحاب الحكومة عن سوقها خوفا من أنها تسبب الفساد في المجتمع ويسحبون الرخصة منها، وفي اليوم التالي تذهب إلى مكتب الرخصة وتأخذ منه رخصة بيع الجسد.

كما أنه في قصته"خود كشي" (الانتحار) حرك قلمه على موضوع اليأس والانتحار، وحاول أن يلقي ضوءا على نفسية ذلك الرجل الذي يريد أن ينتحر، وماذا يكون رده عندما يرى هذا العازم على الانتحار رجلا آخر يقوم بنفس العمل أمام عينيه، والقصة بالإيجاز أن رجلا اسمه "زاهد" تزوج امرأة يافعة جميلة في الخامسة والعشرين من عمره، ولم يلبثا أن تحابا، وبعد سنة من الزواج رزقهما الله ببنت، ففرحا جدًا وأرادا أن

يسمياها تسمية جديدة، لأن الزوجة لم تكن راضية بأن تسمي بنتها باسم من أسماء مقترحة عليهما من الناس.

ذهب "زاهد" إلى السوق واشترى كتاب الأسماء ورجع به إلى البيت، فلما دخل بيته وجد بنته في سكرات الموت، والزوجة فاقدة وعيها، والجارات جالسات لديهما. ولم تلبث أن ماتت البنت، فذهب بها إلى القرافة ووضع كتاب الأسماء على صدرها حين دفنها.

ولما رجع من دفنها أخبر أن زوجته مصابة بالحمى الشديدة إثر الصدمة كما أخبره الطبيب بأنها في حالة خطيرة جدًا. وبعد خمسة عشر يوماً على وفاة البنت ماتت الزوجة أيضاً، فدفنها.

كان لهاتين الصدمتين وقع سيء جدًا على نفسيته جعله يشعر بالإحباط، وعدم الرغبة في الحياة، ودفعه إلى التفكير في الانتحار، وذات ليلة خرج من البيت قاصداً السكة الحديدية للقضاء على حياته، سائماً من الحياة ومتاعبها. فما لبث أن رأى القطار قادما نحوه، وبينما كان يريد الاضطجاع على الحديد إذ رأى رجلاً طلع من ظلام الليل وقام وسط السكة، فكان هو الآخر يريد الانتحار.

وكان القطار سريعاً جدًا، وكاد الرجل الثاني أن يأتي تحته لولا أن تقدم "زاهد"ودفعه بعيدًا. وبعد إنقاذه يجري بينهما الحوار التالي:

زاهد: هل تريد الانتحار؟

الرجل: نعم.

زاهد: لماذا؟

الرجل: لا رغبة لي في العيش بعد تحمل تلك الصدمات التي ذقت مرها.

أصبح "زاهد" ناصحاً على الفور وقال : يا أخي! إن الانتحار معناه اليأس والجبن، وهذه الحياة للأمل والشجاعة، وليس من المعقول الانتحار وقتل المرء نفسه. عليك أن تنسى الصدمات، وتبدأ الحياة من جديد. تعال معي، الأشياء تعرف بأضدادها وليس من الممكن للإنسان التلذذ بملذات الحياة وأفراحها بدون تذوق مرارة هذه الصدمات.(14)

والقصص التي كتبها منتو في تلك الفترة التي تلت إنشاء باكستان كان خلفية معظمها تقسيم الهند والاضطرابات وقتل الناس الأبرياء والظلم والاعتداء الذي قام به أناس على آخرين، إنها تتحدث عن تلك المآسي والآلام التي نزلت على المنكوبين – المسلمين والهنود- على يد أعدائهم وإخوانهم، كما أنها تلقي ضوءا على تلك العقد النفسية التي عانت منها هؤلاء المنكوبون، وعلى رأس تلك القصص التي جاد بها قلمه في تلك

الفترة هي "كهول دو"(افتحي) و"شريفن" (اسم البطلة) و"گورمكھ سنگھ كي وصيت**" (**وصية گورمكھ سنگھ**).**

أما قصته "كهول دو"(افتحي) فإنها أروع مثال لتناول العقدات النفسية، إنها قصة أسرة مسلمة تهاجر من مدينة "أمرتسر" الهندية إلى مدينة "لاهور" الباكستانية وقت إنشاء باكستان.

تشتمل هذه الأسرة على فتاة اسمها "سكينة" في السادسة عشرة من عمرها وعلى أبويها الكبيرين في السن، ولكن لا يصل من هذه الأسرة إلى باكستان سوى الوالد. أما العجوز فيقتلها السيخ في الطريق بين يديه، وأما الفتاة فيفقدها في الطريق.

وبعد وصوله إلى "لاهور" يبدأ الوالد البحث عنها في المخيمات التي نصبت للمهاجرين الذين يهاجرون من البلاد المختلفة إلى "لاهور" وفي المستشفيات والمكاتب التي أقامتها الحكومة لخدمة المهاجرين.

وبينما هو على تلك الحال إذ يقع نظره على مجموعة من الشبان المتطوعين لمساعدة المهاجرين والبحث عن المفقودين، فيخبرهم عن ابنته وعن حسنها وجمالها، ويعده هؤلاء الشبان قائلين: إن كانت حية فسنجدها ... ويجدونها فعلا ولكنهم....

وبعد أيام يجدهم سراج الدين (والد الفتاة) فيسألهم عنها إلا أنهم لا يزيدون على قولهم: "سنجدها" ولا يخبرونه عنها ويذهبون.

وبعد بضعة أيام يجد الوالد ابنته في إحدى المستشفيات، وهي ملقاة على سرير كجثة هامدة مصابة بصدمة نفسية، فيخبر الطبيب بأنها ابنته.

كان في تلك الغرفة حر لافح، فأمر الطبيب "سراج دين" بأن يفتح النافذة للهواء. والكلمة التي يستخدمها الطبيب لهذا الغرض باللغة الأردية هي "كهول دو"(هذه صيغة الأمر الحاضر بالأردية وتستخدم للمذكر وللمؤنث على سواء) أي "افتح"، فتتحرك يد سكينة المصابة بصدمة نفسية، تحل تكتها ولتخلي إزارها. وعندما يرى الوالد الحركة في جسم بنتها يصرخ من الفرح: حية.....ابنتي حية، ويغرق الطبيب في عرقه خجلا.

تدور أحداث هذه القصة في مدينة لاهور بعد التقسيم حيث أقيمت مخيمات كثيرة لإيواء المسلمين المهاجرين من أنحاء الهند المختلفة إلى باكستان. وهذه القصة تتحدث عن أسرة فقدت بعض أفرادها في مدينة امرتسر خلال الهجرة، والذين نجوا من القتل على يد أعدائهم لم ينجوا من هتك أعراضهم على يد إخوانهم المسلمين، ها هي سكينة يهتك عرضها رجال نذروا أنفسهم لخدمة المهاجرين والبحث عن المفقودين.(15)

انتقد منتو في هذه القصة القصيرة الواقع المؤسف بأسلوبه الساخر الذي عُرف به، وحلل نفسيات أبطال هذه القصة. تحدث عن الوالد العجوز وهو يدعو الله أن يكون في عون هؤلاء الفتيان وهو لا يعلم أنهم قد اعتدوا على ابنته واغتصبوها، وعندما يرى الحركة في جسم بنتها يفرح جدا على رؤيته إياها حية، ولا يبالي بالحركة التي تقوم بها البنت، ولعله يقتلها في ثورة الغضب على فعلها ذاك في ظروف أخرى، وعن العمل الاضطراري للفتاة الملقاة على سرير كجثة هامدة، والتي بسبب ظلم أولئك الشباب قد أصبحت مريضة نفسية وفقدت وعيها، ورسخ في ذهنها المصاب بصدمة نفسية مفهوم خاص لكلمة "افتح"، وعن الطبيب الغارق في الخجل مدركا كبر الأزمة التي عانتها الفتاة، وعن الشباب الذين لم يستطيعوا التمالك على غريزتهم الجنسية، ونسوا الحلال والحرام في هذا المضمار وقاموا بارتكاب أفظع الجرائم وأبشعها مع أنهم كانوا قد نذروا أنفسهم للأعمال الخيرية. فكل من يقرأ هذه القصة تقشعر جلده وتغيب عن عينيه شخصية "سكينة" الفتاة كشخصية خاصة، ولا يبقى في ذهنه إلا امرأة.. امرأة مظلومة، في غمرة خوف وذعر، تخبر عما حدث معها في تلك الأيام.

اعترف الأدباء والنقاد بأن هذه القصة مثال رائع لنضوج فنه وتمهره في الميدان القصصي، وأن هذه القصة القصيرة مؤثرة جدًا وموفية كل جوانب الفن القصصي.(16)

ومن قصصه القصيرة قصته "شريفن" التي كُتبت في أجواء تقسيم شبه القارة الهندية، وفيها أيضا تناول منتو نفسية شخصيات القصة، كُتبت هذه القصة أيضا في تلك الأجواء المضطربة، قتل عندئذ مئات الآلاف من الناس الأبرياء بلا مبرر سوى تلك الكراهية والحقد والعصبية الدينية التي جعلت الإنسان يترك الشيطان خلفه، فقام بالأعمال التي يعجز عن الإتيان بمثلها صروف الدهر. وفيها ألقى منتو الضوء على سلوك الإنسان المظلوم عندما تسيطر عليه الرغبة في الانتقام، فيفقد التمييز بين الخير والشر، فلا يرضى إلا بالانتقام كيفما وأينما كان، هذا "قاسم" الذي قتل السيخ أسرته في زمن الاضطرابات يدخل بيت سيخ أخير لأخذ الثأر ويقتل بنتاً وينسى في ثورة الغضب والرغبة في الانتقام أنه إنما دخل بيت صديقه وقتل بنتها. وإليكم خلاصة القصة:

يدخل "قاسم" (المسلم) بيته فيجد زوجته جثة هامدة، لا حراك فيها، فيتبادر ذهنه توًّا إلى ابنته "شريفن"، وعندما يقتحم غرفتها المغلقة يجدها عارية مجردة من ملابسها قد فارقت الحياة، فيصرخ بأعلى صوته، ويأخذ فأسه وينطلق إلى الشارع ويقتل أول سيخي يقابله، ويتوجه شطر الناحية الأخرى ليقتل ثلاثة آخرين من نفس الطائفة فيفر الناس

خوفا منه، ورغم النفوس التي أزهقها لم تهدأ النار التي كانت تتأجج في داخله، فيدخل بيتا ـتُكتب على بابه كلمات باللغة الهنديةـ بعد أن يكسر بابه فيرى بداخله بنتا في عمر ابنته التي تركها ملطخة بالدماء، فيندفع نحوها ويمزق ملابسها ثم يخنقها حتى يقطع أنفاسها، وبعد لحظات يدخل صاحب البيت وينادي على "قاسم" باسمه ويسأله عما يفعل في بيته، ولكنه عندما يرى ابنته صريعة كان هو الآخر الذي يصرخ كما صرخ "قاسم" في بداية القصة.(17)

ومثلها قصته "وصية گورمكھ سنگھ" التي كُتبت في تلك الأجواء نفسها. **وموجز القصة أن الرجل الذي اسمه " گورمكھ سنگھ" (السيخي) يكون مدينا لـ "ميان عبد الحي" (المسلم) القاضي المتقاعد، ويظن أن مائة جيل قادم من سلالته لا يستطيع أن يقوم بجزاء ما أحسن هذا القاضي إليه. كما أنه يذهب إليه كل عام بكيس من الشعرية بمناسبة عيد الفطر شاكرا له.**

تبدأ الاضطرابات في كل مدن الهند في شهر رمضان بسبب تقسيم الهند، ويبدأ المسلمون يهاجرون من المدن التي يكوّنون بها الأقلية ويتوجهون إلى تلك المناطق التي لهم الأكثرية فيها، ولكن لا ينتقل القاضي مع أسرته ـ المشتملة على ابن في الحادية عشرة من عمره وبنت في السابعة عشرة من عمرها وخادم مسن ـ من مدينته "أمرتسر"، راجيا من أن الظروف سوف تتحسن قبل العيد. ولكن الظروف لا تتحسن، بل تسوء يوما فيوما حتى لا يتسنى لهم بسبب كثرة الاضطرابات الانتقال من تلك المنطقة. وقدر الله أنه يصاب بالفالج ويعجز عن الحركة، ولا تستطيع الأسرة أن تذهب به إلى الطبيب، إلا أنهم يرسلون الخادم ليأتي بالدواء ولكنه لا يرجع، والآن لا يبقى لديهم سوى انتظار قدر الله فيهم ـ خيرا كان أو شرا ـ.

ويُقرع الباب ذات ليلة، فينفتح عن سيخ يظنه القاضي "گورمكھ سنگھ **" ولكنه ليس "**گورمكھ سنگھ**" بل هو ابنه الذي يأتي بكيس من "الشعرية" بدل والده، ويخبرهم بأن والده كان قد أوصاه قبل وفاته بذلك، ثم يعود أدراجه.**

وفي الطريق يلتقي به رجال وعلى وجوههم لثم وفي أيديهم مشاعل وتنكات الزيت والمواد المحرقة الأخرى ويسألونه: هل أنجزت عملك؟ فيرد عليهم بالإثبات، ثم يسأله أحدهم ضاحكا: وهل تسمح لنا الآن أن ننجز عملنا (إحراق بيت القاضي)؟ فيجيب ابن " گورمكھ سنگھ **" : كما تشاءون، ويذهب. وبهذا تنتهي القصة.(18)**

في هذه القصة طالع منتو سلوك الإنسان في ظروف متباينة، الوالد لا ينسى منّ صاحب البيت وهو على فراش الموت، والابن الذي عليه أن

يعصم أهل هذا البيت ينسى كل شيء كما ينسى يد صاحب البيت على والده ويتركه وأهله يحترقون وهم أحياء، وهكذا نرى أن الجيل التالي من سلالة "گورمکھ سنگھ" لا يستطيع جزاء إحسانه فضلا عن مائة جيل قادم.
نكتفي بهذا القدر من النماذج فهي غيض من فيض.

نتائج البحث

يتضح من الدراسة السابقة ما يلي:

كان سعادت حسن منتو ناقدا كبيرا، إنه نقد بقصصه العيوب الاجتماعية والمستوى المزدوج للمجتمع وألقى بأسلوبه الرشيق وبصيرته النفاذة الضوء على الكثير من الظواهر الجديدة التي تقف حائلة دون تطور المجتمع وتعوق حركة عجلته، كما هز أسس الأقدار الاجتماعية العقيمة وأظهر التخالف والتضاد الكامن في أعماق المجتمع

كان سعادت حسن منتو طبيبا نفسانيا بارعا، يحلل الميول، ويكشف عن الطبائع، ويلمس أغوار النفس، فكل قصة من قصصه تشير إلى قضية نفسية، وتكشف الستار عن حقيقتها مع أنها معبرة عن ناحية من نواحي الحياة، ومشكلة من مشاكل فردية أو اجتماعية.

حاول منتو خلال تناول هذه المشاكل الاجتماعية والنفسية تشخيص الداء الخبيء في الإنسانية، وهو يتأثر في ذلك بالقصص الأوربية مما قرأه في الآداب الغربية المختلفة، ومما ينهج فيه الكتاب منهجا نفسيا يحللون فيه الشعور، وما وراء الشعور، ومما يصيب الإنسان أحيانا من عقد نفسية تكمن في أطواء قلبه، ويحلل العقد الغريزية.

*****

الهوامش

1- محمد حسن عسكري، "من ٹ و كا مقام" نقوش، العدد: 49،50، ص:274.

2- عبادت بريلوي، "من ٹ و كي حقيقت ن گ ارى"، نقوش، العدد: 49،50، ص:292.

3- إنه سيجموند فرويد، وهو يهودي تمساوي ولد عام 1856م، وعمل طبيبا للأمراض الباطنية وباحثا في علم الأعصاب. ومن مؤلفاته "دراسات حول الهستريا" و"مشروع علم نفس علمي" وعلم النفس المرضى للحياة اليومية"والتكتة وعلاقاتها للاوعي" و التحليل النفسي للهستريا" والكف والعرض والحصر".

4- سعادت حسن من ٹ و، " لذت سن گ" ضمن المجموعة القصصية: من ٹ و نامه، ص:619.

5- سعادت حسن من ٹ و، "سر گ زشت اسير" (ترجمة كتاب وكتر هيو گ و:" The Last Days of the Condemned") من ٹ و باقيات، لاهور سن گ ميل پ بليكيشنز، 2004م، ص:11.

6- سعادت حسن من ٹ و: من ٹ و راما، سن گ میل پ بلیکشنز، لاهور، ص: 702.
7- وقار عظیم، نیا افسانه، علي گـڑھ، ایجوکیشنل بك هاؤس،1990 ص:158.
8- سعادت حسن من ٹ و، " لذت سن گ" ضمن المجموعة القصصية: من ٹ و نامه، ص:619.
9- سعادت حسن من ٹ و، "مس ٹ ین والا" من ٹو نامه ص:268-275.
10- سعادت حسن منٹو، "خوشيا"، ضمن المجموعة القصصية: منٹو راما، ص: 762.
11- ضمن المجموعة القصصية: " من ٹ و نامه"، ص:404-411.
12- سعادت حسن من ٹ و، "س ژ ك ك ے كنار ے "، من ٹ و راما، ص:176-183.
13- سعادت حسن من ٹ و ، "باتيں" ضمن المجموعة القصصية: من ٹ و راما، ص:392.
14- سعادت حسن من ٹ و، "خودكشي" ضمن المجموعة القصصية: منٹو ك ه انيا ں ، ص:361-366.
15- سعادت حسن من ٹ و ، "كهول دو" ضمن المجموعة القصصية: من ٹ و كهانيان، ص:11-14.
16- ج گ ديش چ ندر ودهاون، من ٹ و نامه، ص:502.
17- سعادت حسن من ٹ و ، "شريفن" ضمن المجموعة القصصية: من ٹ و كهانيان، ص:79-82.
18- سعادت حسن من ٹ و ، " گ ورم كهـ سن گهـ كي وصيت" ضمن المجموعة القصصية: من ٹ و نامه، ص:109-116.

المصادر والمراجع

1- اشك، ا پ ندر ناتهـ، منٹو ميرا دشمن، لاهور، مكتبه اردو ادب.
2- پ ريمي، برج(الدكتور)،سعادت حسن منٹو ، حيات اور كارنا مے ، سر ى نگر، مرزا پبليكيشنز.
3- شيريں ممتاز، منٹو نورى نه ناري، كراچي، شهر زاد، الطبعة الثانية، 2004م.
4- طفيل محمد، صاحب، لاهور، إداره فروغ اردو.
5- غوري، محمد علي، القصة الاجتماعية في مصر وباكستان في العقد السادس من القرن العشرين، أطروحة دكتوراه مخطوطة، الجامعة الإسلامية بإسلام آباد، 2000م.
6- غياث الدين، محمد (شيخ)، هندو مسلم فسادات اور اردو افسانه، لاهور، ن گ ارشات، 1999م
7- ـــــ ، فرقه واريت اور اردو هندي افسان ے ، (1947م-1978م)، دهلي، ايجوكيشنل پ بلشن گ هاؤس، 1999م.
8- فتح پ وري، فرمان (الدكتور) ، سعادت حسن منٹو افسانه اور افسانه ن گ ار، كراتشي ، اردو اكادمي سندهـ، ص:139.
9- قريشي،أبو سعيد، منٹو ، لاهور ، اداره فروغ اردو.

10-منٹو ، سعادت حسن، افسانے اور ڈرامے، لاهور، مکتبه شعر وادب، بدون ذکر السنة.
11- ـــــ ، منٹو باقیات، لاهور، سن گ میل پبلیکیشن - ز ، 2004م.
12- ـــــ، منٹو راما، لاهور، سن گ میل پ بلیکیشن - ز، 37-38.
13-ـــــ، منٹو نما، لاهور، سن گ میل پبلیکیشن - ز، 1991م، ص:92.
14- نقوي، تنویر عباس، من ٹ و ك ے سیاسی افسان ے ، (قصص منتو السیاسیة) لاهور، دعا پ بلیکیشنز، بدون ذکر السنة.
15- نا گ ي، أنیس، سعادت حسن من ٹ و، لاهور، فیروز سنز، الطبعة الأولی، 1989م.
16- ـــــ ، معمار أفسانه نویس سعادت حسن من ٹ و، لاهور، جمالیات، 1999م.
17- ودهاون، ج گ دیش چ ندر، منٹو نامه. لاهور، مکتبه شعر وادب، بدون ذکر السنة.
18- Fleming, Leslie A and Naqvi, Tahira, The Life and Works of Saadat hassan Manto. Lahore, vanguard Books Ltd, 1985.
19- Qureshi, Muhammad Akhtar, Image of women in Manto,s writings. رسالة ماجستیر مخطوطة، لاهور، جامعة بنجاب، 1993م.

❖ ❖ ❖